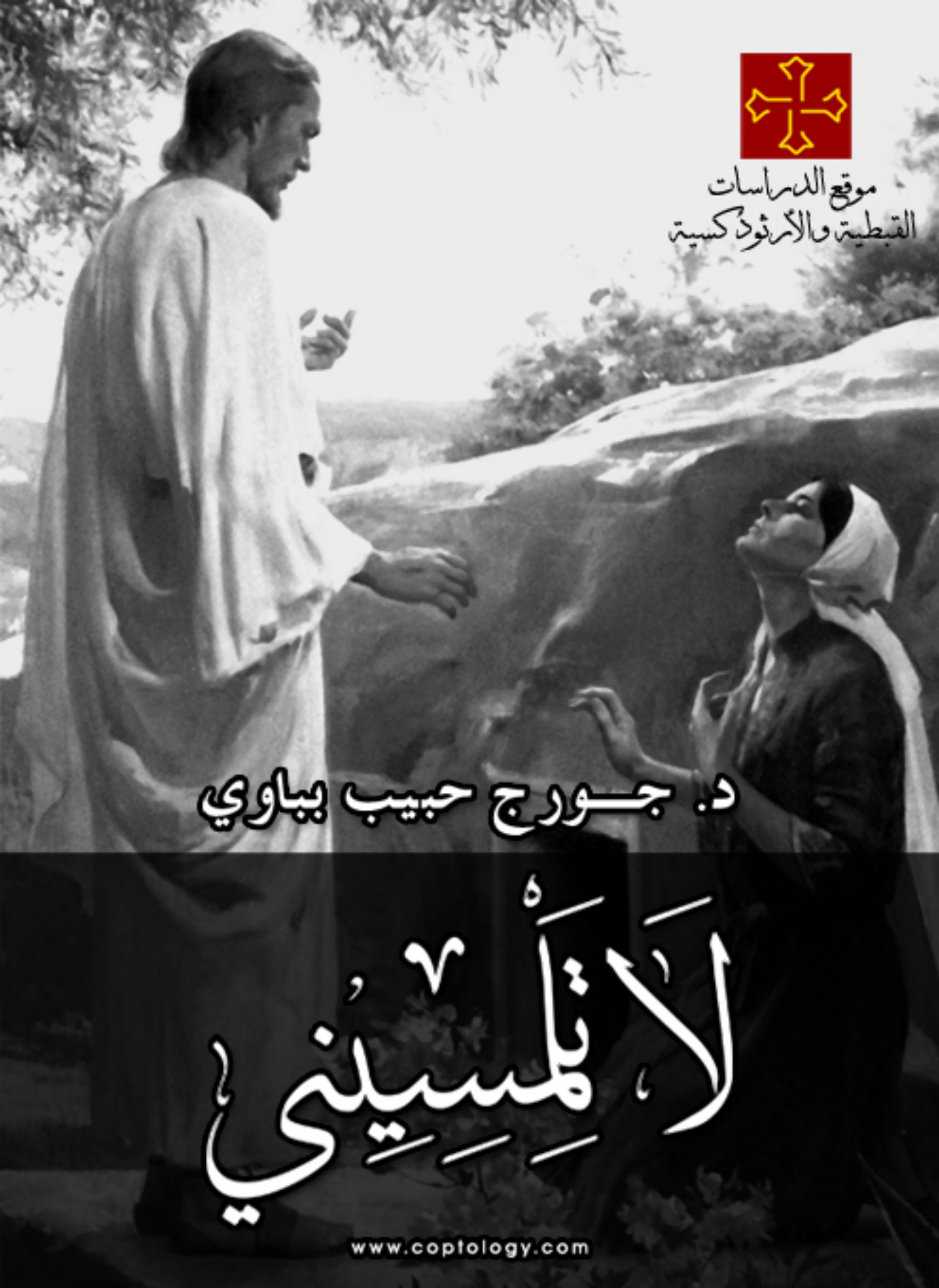

موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

لَا تَلْمِسِينِي

www.coptology.com

Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

لاَ تَلْمِسِينِي

تفاسير لآباء الكنيسة الجامعة

د. جورج حبيب بباوي

٢٠٠٩

www.coptology.org

جدول المحتويات

مقدمة..... ٤
كيف ندرس تفاسير الآباء للكتاب المقدس..... ٤
ما معنى أن كلمة الرب نموذج؟..... ٥
النص..... ٨
الفصل الأول: دراسة النص..... ٩
أولاً: ملاحظات أساسية على المقطع كله:..... ٩
ثانياً: جسد المسيح في إنجيل يوحنا:..... ١٠
ثالثاً: ملاحظات على النص اليوناني:..... ١٢
الفصل الثاني: المجدلية وخبرتنا الروحية في الليتورجية..... ١٦
أولاً: عند العلامة أوريجينوس..... ١٦
ثانياً: عند القديس كيرلس عمود الدين..... ١٨
مريم المجدلية رمزٌ للموعوظين:..... ١٨
شرح للإفخارستيا كخبرة حياة:..... ٢١
الفصل الثالث: تفسير كلمات الإنجيل من خلال أحداث القيامة..... ٢٧
القديس يوحنا ذهبي الفم:..... ٢٧
الفصل الرابع: المجدلية رمز لكنيسة الأمم..... ٣٣
المغبوط أوغسطينوس:..... ٣٣
المجدلية ونازفة الدم التي لمست هُدبَ ثوبه:..... ٣٥
الفصل الخامس: المجدلية نموذج للنفس التي ترتفع من حِسِّ الوثنية إلى الإيمان بالمسيح..... ٣٧

قصيدة شعرية للقديس يعقوب السروجي: ٣٧
الفصل السادس: بالروح القدس نلمسه روحياً ٤٠
المغبوط أوغسطينوس: ٤٠

مقدمة

كيف ندرس تفاسير الآباء للكتاب المقدس

أردنا أن نقدم أشهر ما ذاع في كتابات الآباء، لا سيما الذين فسَّروا إنجيل يوحنا من آباء الكنيسة الجامعة مثل: أوريجينوس، ذهبي الفم، كيرلس عمود الدين، أوغسطينوس. والهدف من هذه الدراسة هو أن نكتشف كيف يفهم الآباء الكتاب المقدس، وكيف يتحول نص الكتاب عندهم إلى حياة. ويهمنا أن نلفت النظر إلى أن الآباء لم يتوقفوا عند معنى واحد، بل وجدوا عدة معاني لكل كلمة إلهية، وهذا في حد ذاته شهادة لأعماق الحياة التي عاشوها واختبروها. ولا شك أن تقديم هذه اللمحات المتعددة يعتبر غنى روحي، خصوصاً وأن كثرة التفاسير لا تؤدي إلى اضطراب القارئ الذي تدرَّب على التمييز واختيار ما يتفق مع الحياة التي يحياها. كما أن تعدد التفاسير لا يعيق نمو المبتدئين الذين لهم بداية روحية عقائدية سليمة.

وتفاسير الآباء ليست واحدة، فكل أب يأخذ زاويةً معينةً تخصه يحاول إبرازها بدقة، فكلمة الله عند الآباء هي **نموذج** لعدة أشياء مجتمعة، وهذا النموذج يمكن أن يخدم عدة أغراض عقائدية وطقسية وروحية، فإذا فهمنا النص المقدس على أنه **نموذج** وليس مجرد كلمات أو مجرد وقائع، بل **نموذج** يشير إلى ما يحدث في حياة الكنيسة، لأمكننا أن نرى بكل وضوح أن تعدد التفاسير هو أمر سليم ومألوف، وهو ما جعل الآباء الذين فسَّروا إنجيل يوحنا يقدِّمون عدة تفاسير لكي ينتبه المؤمنون إلى عمق الأحداث الإنجيلية كواسطة لإعلان الخلاص الذي أكمله الرب يسوع بموته وقيامته.

ما معنى أن كلمة الرب نموذج؟

مَن يدرس الآباء يعرف أن الآباء لم يروا في الكتاب المقدس بعهديه نصوصاً مكتوبة في كتاب، وإنما شواهد ورموز ودلالات ونماذج "*Types*" عن أهم موضوعات الكتاب المقدس وهي:

١– إعلان الله عن نفسه، وهو الإعلان الذي يتم من خلال المواعيد، والظهورات، والكلمات الإلهية الموجهة للأنبياء، والأحداث.

٢– تأسيس علاقة بين الله والإنسان. هذه العلاقة تقوم على الإعلانات الإلهية، التي صارت أساس الأعياد والطقوس في العهد القديم، وكملت بالأسرار الكنسية في العهد الجديد، وهي علاقة زواج الرب بالكنيسة (أفسس ٥: ٢١ – ٣٣).

وعلى هاتين الدعامتين قام لاهوت الكنيسة الجامعة الذي نراه بكل وضوح في كتابات آباء الكنيسة. وما ذكرناه يعني – بكل وضوح – أن الأحداث أو الأقوال المدوَّنة في الكتاب المقدس عندما تُقرأ أو تُسمع، فهي لا تصف شيئاً عَبَرَ وانتهى وصار مجرد موضوع غامض يحتاج إلى تفسير. هذا لم يكن معروفاً في المسيحية على وجه الإطلاق، وإن كان قد صار – بكل أسف – هو الطابع العام لأغلب ما يُقال أو يُكتب الآن، فالمسيحي صار يذهب إلى الكنيسة لكي يسمع تفسيراً لأقوال الله أو لأحداث الخلاص، أمَّا المسيحيون الأوائل فقد كانوا يسمعون كلمة الله لكي يفهموا ما يتذوقونه ويعرفونه وهو ماثل أمامهم في العلاقة السرية "*Mystical*" والسرائرية "*Sacramental*" بينهم وبين الابن المتجسد بالروح القدس. هذه العلاقة تصل إلى ذروتها في الأسرار الكنسية، وهي علاقة لا تقوم على ما في النص المقدس من كلمات، وإنما على ما يحمله النص المقدس من دلالات تشير إلى الواقع الروحي المعاش.

إننا لا ندرك أن التاريخ – بالنسبة للخلاص – ليس مجرد أحداث عابرة، تبدأ وتنتهي؛ لأن الله يدخل حياة الإنسان مع كل قول أو حدث، وهو يدخل حياة

الإنسان لكي يعلن له أنه مستعد دائماً لأن يجدد حياته. ولذلك، فالمعجزات، والوعود الإلهية وكلمات الله للأنبياء ليست أشياء عابرة انتهت، وإنما هي ينابيع حياة في انتظار كل من يريد أن يأتي إلى الله.

إننا كثيراً ما ننسى أن الذي يتحدث هو الله، وأن الحديث الموجه إلى القديس بطرس أو المجدلية أو غيرهما ليس مجرد واقعة تاريخية سجَّلها الإنجيليون من أجل الأمانة والدقة التاريخية، وإنما الأمر أعمق من ذلك بكثير، فكل الأحاديث والمعجزات هي خبرة روحية اختبرها الذين قابلوا الله المتجسد، وكُتِبَت من أجل الذين سوف يتقابلون مع الله المتجسد لكي ينالوا نفس هبة الحياة "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يوحنا ٢٠: ٣٠ – ٣١). فغاية سماع أقوال الله هي أن نؤمن، وأن يقودنا هذا الإيمان إلى الحياة. ولذلك نحن لسنا أمام تفاسير نصوص، وإنما نحن أمام علاقة حياة آتية إلينا من الله، وتُوهَب لنا في المسيح وبالروح القدس.

هكذا تصبح كلمة الله **نموذج** يدلنا على الحياة، **ونموذج** متعدد الجوانب، بل ومتعدد الأعماق لا يمكن أن يقف فيه الإنسان عند حد الإيمان بما حدث للآخرين أو بما قيل للآخرين. ولعل كلمات العلامة أوريجينوس واضحة جداً في هذا الخصوص، إذ يقول: "إذا كنت تؤمن بأن الله تكلم مع إبراهيم وأعطاه الوعد بالبركة، وأن هذا خاص بإبراهيم وحده، فأنت لا تزال في مرتبة الموعوظين، أمَّا إذا سمعت كلام الله لإبراهيم وعرفت أنك أنت المقصود، فقد تركت رتبة الموعوظين إلى رتبة المؤمنين" (عظة ٣ على أرميا ١١: ١).

فإن كنا قد انتقلنا إلى رتبة المؤمنين، أي الذين يذوقون أسـرار الله، صـارت كلمة الله بالنسبة لنا متعددة المعاني ومتعددة الصلاحيات، تفيض لنا بالمعاني الجديدة في كل يوم سواء في الطقوس أو العقائد أو الحياة اليومية.

إلهنا الذي قام من بين الأموات، يقيم فكرنا من كل اهتمام أرضي، ويمنحنـا الحياة الحقيقية التي تؤهلنا لكي نلمسه ونتحد به، فنحيا بحياته.

له المجد والإكرام مع الآب بالروح القدس ،،،

د. جورج حبيب بباوي

عيد القيامة ١٩٨٢م

النص

"وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إلى الْقَبْرِ بَاكِراً وَالظَّلاَمُ بَاقٍ. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً عَنِ الْقَبْرِ. فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إلى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ.....

أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجاً تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إلى الْقَبْرِ. فَنَظَرَتْ ملاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِداً عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعاً. فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ». وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا الْتَفَتَتْ إلى الْوَرَاءِ فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ!» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «**لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إلى أَبِي**". (إنجيل يوحنا ٢٠: ١-٢، ١١ - ١٨)[١].

---

(١) اعتمدنا على الترجمة العربية البيروتية فهي أكثر انتشاراً، ومع ذلك فقد استعنا بالترجمة العربية الجديدة للعهد الجديد التي صدرت في بيروت ابتداءً من عام ١٩٨٠.

الفصل الأول

دراسة النص

أولاً: ملاحظات أساسية على المقطع كله:

١– يقدم لنا القديس يوحنا بداية بشارة القيامة بمجيء مريم المجدلية إلى القبر، ثم اكتشافها أن جسد المسيح ليس موجوداً في القبر، وبعد ذلك تعبِّر عن مشاعرها وحزنها بالذهاب إلى التلاميذ لكي تشتكي لبطرس ويوحنا. لكن الملاحظة الأساسية هي أنها في الحقيقة لا تؤمن بالقيامة "أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه" (٢٠: ١ – ٢).

٢– بعد ذلك مباشرة يذهب بطرس ويوحنا إلى القبر، وهي الزيارة التي أدت إلى إيمان يوحنا بالقيامة (٢٠: ٣ – ١٠).

٣– يواصل القديس يوحنا قصة مريم المجدلية التي رجعت إلى القبر بعد أن تقابلت مع بطرس ويوحنا في منزلهما، ولا يذكر القديس يوحنا أن مريم المجدلية تقابلت مع التلميذين بعد زيارة التلميذين إلى القبر ويبدو واضحاً أنها فعلاً لم تتقابل معهما وهذا يمكن استنتاجه من "وأما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي" (٢٠: ١١). وهذا يعني أنها في الواقع لم تسمع بشارة القيامة من الرسولين بطرس ويوحنا.

٤– عند هذه النقطة يسجِّل القديس يوحنا الحوار الذي دار بين مريم المجدلية والملاكين، ثم بعد ذلك مع يسوع الذي لم تعرفه وظنت أنه البستاني، ثم تتعرف عليه

بعد ذلك، ولكن القصة لا تقف عند طلب المسيح بأن لا تلمسه، وإنما عند طلب الرب من مريم أن تذهب لكي تبشر الرسل بالقيامة.

إذن، الجانب الأساسي ليس الأمر بعدم اللمس، وإنما تدرج مريم من الشك إلى الإيمان، ومن محاولة البحث عن جسد يسوع الميت إلى الإيمان بيسوع الرب الحي من بين الأموات.

٥– فإذا كان الهدف الواضح الذي نراه من سياق الكلام وتتابع الأحداث هو إثبات القيامة وتدرج الشهود إلى الإيمان، فإننا يجب أن نلاحظ أن مركز الثقل هو الخبرة الروحية التي تتكون عند الشهود، وهي خبرة الرسل والنساء في اكتشاف حقيقة القيامة التي لا تنفع فيها الخبرة الحسية، ومصدرها اللمس والتعرف على المسيح الحي حسياً.

ثانياً: جسد المسيح في إنجيل يوحنا:

١– جسد المسيح أو ناسوت اللوغوس الكلمة هو مصدر حياة وقيامة للذين يسمعونه. وفي الحقيقة أن يوحنا الذي أسهب في الكلام عن ناسوت المسيح أكثر من غيره لم يستعمل فعل يلمس إلاَّ مرةً واحدةً فقط، وذلك في قصة القيامة، فالفعل "Aptw" أي يمسك أو يحتضن استعمل ٣٩ مرة في العهد الجديد منها مرة واحدة فقط في قصة القيامة في إنجيل يوحنا (يو ٢٠: ١٧). فاللوغوس المتجسد لا يهب حياة لمن يلمسه برؤية أرضية، وإنما لمن يؤمن به حياة وقيامة.

٢– ومن هذا يبدو واضحاً أن المسيح المتجسد الذي يؤكل جسده ويهب الحياة هو فعلاً الإله المتجسد، ولكن حقيقة تجسده فوق الحواس، ولعل هذه النقطة بالذات تمثل جوهر الكلام عن الإفخارستيا في إنجيل يوحنا (يوحنا ٦: ٥ – ٥٨)، فالمسيح لا يؤكل كجسد مادي، وإنما يؤخذ كحياة متجسدة وحقيقية تهب الحياة

الأبدية (يوحنا ٦: ٥٠، ٦٣)، وهذا في الحقيقة هو مضمون الأكل والشرب كما يظهر في خاتمة الحديث عن الإفخارستيا "الروح هو الذي يحيي أمَّا الجسد فلا نفع منه" (يوحنا ٦: ٦٣)، فالجسد لا نفع منه بدون الروح، وغاية التجسد هي أن يهب اللوغوس حياة للذين ساد عليهم الموت، وهو أيضاً ما حققته القيامة.

٣- يؤكد القديس يوحنا أيضاً أن القيامة خبرة روحية لا تدخل إلى حياة الإنسان عن طريق الحواس، وبشكل خاص العينين واليدين، ويمكننا ملاحظة كيف يعرض القديس يوحنا الرسول أحداث القيامة:

أ) مريم لا تعرف المسيح وتظن أنه البستاني (٢٠: ١٥).

ب) المسيح يعرض يديه وجنبه على التلاميذ ولكنه هو الذي يفعل ذلك فهو الذي يعلن ذاته (يوحنا ٢٠: ٢٠).

ج) توما يطلب نفس الإعلان ويستجيب الرب لطلبه وهذا هو غاية تكرار فعل **جاء** في قصة الظهور الأول (يوحنا ٢٠: ١٩)، والظهور لتوما (٢٠: ٢٦).

د) بعد ذلك يستعمل القديس يوحنا الرسول فعل أظهر يسوع نفسه لتلاميذه (يوحنا ٢١: ١) مؤكداً إشراق الصباح، ومع ذلك لم يعرف التلاميذ أنه يسوع (يوحنا ٢١: ٤) ومن المؤكد أن يسوع هو الذي يُظهر أو يُعلن نفسه (يوحنا ٢١: ١٤).

٤- فالمسيح يعلن ذاته لمن يريد أن يعرف، **فلا يمكن أن يأتي الإنسان إلى خبرة روحية يدرك فيها المسيح عن طريق الحواس، وهذا هو في الحقيقة الهدف من قصة مريم المجدلية كلها التي تمثل خبرة حسية تبحث عن الجسد، وتظن أنه يمكن أن يُسرق أو يُنقل من مكان إلى آخر.**

ثالثاً: ملاحظات على النص اليوناني:

١- "فنظرت ملاكين": الفعل اليوناني ليس مجرد الرؤيا بالعين، فالفعل "*Theorien*" يعني يفحص أو يتأمل عقلياً، وهنا الرؤيا إدراك لما تراه المجدلية.

٢- "بثياب بيضاء": وحسب إنجيل متى (٢٨: ٣) أن ملاك الرب "كان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج"، وكل الذين ترسلهم السماء يلبسون ملابس بيضاء لامعة (حزقيال ٩: ٢ – دانيال ١٠: ٥).

٣- "واحداً عند الرأس والآخر عند القدمين": يبدو أن وجود الملاكين هنا هو إشارة متعمدة إلى مركز المسيح الإلهي، وهو ما كان يجب أن تفهمه المجدلية.

٤- "يا امرأة": وهو نداء، استخدمه السيد المسيح نفسه في حديثه مع العذراء (يوحنا ٢: ٤)، وهو ليس نداءً خشناً، بل هو النداء المهذب الشائع في فلسطين (راجع يوحنا ١٩: ٢٦ – متى ١٥: ٢٨ – لوقا ١٣: ١٢ – يوحنا ٤: ٢١ – يوحنا ٨: ١٠). وإجماع علماء العهد الجديد في العصر الحديث هو على أن كلمة امرأة هنا تعني السيدة "*Lady*". ومن الواضح أن القديس يوحنا سجل هنا حديث الملاكين مع المجدلية لتأكيد تغير العلاقة بين المرأة والقوات السمائية، وأن الحديث عن المرأة هنا هو إعادة لنداء آدم لحواء بعد الخلق مباشرة (تكوين ٢: ٢٣). وفيه إشارة واضحة إلى تجديد الخليقة.

٥- "لماذا تبكين؟": والسؤال هنا يجد إجابة واضحة في تسبحة الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية "إن زمان البكاء قد مضى".

٦- "نظرت يسوع":، من الواضح أن إعادة استخدام الفعل "*Theorien*" هو محاولة لشرح قول السيد المسيح نفسه في (يوحنا ١٤: ١٩) "بعد قليل لا يراني العالم ... أما أنتم فترونني"، فالمجدلية نظرت، ولكنها ظنت أنه البستاني، أي أنها لا تزال تراه كما يراه العالم أي ينظر ولا يعرف.

٧- "ولم تعلم أنه يسوع": وهنا تأكيد المعنى اللاهوتي صار أكثر وضوحاً، فالنور كافٍ لأن يوضح لها أن القبر فارغ، ولكنها لم تعرف يسوع تماماً كما لم يعرفه المعمدان "ولم أكن أعرفه، فجئت أعمد بالماء حتى يظهر لإسرائيل" (يوحنا ١: ٢٦، ٣١). ومن هذا ندرك بكل وضوح أن التعرف على يسوع لا يُبنى على الخبرة الحسية، ولكن على إعلان يسوع عن نفسه وبشكل خاص في أحداث الخلاص. وهنا نرى بكل وضوح أن ظهور الرب للمجدلية هو – مثل المعمودية في الأردن من يوحنا المعمدان – إعلانٌ عن المسيح. بقى أن نسأل، وماذا عن صوت الرب المألوف لدى مريم؟ إن الفصل من إنجيل يوحنا الذي يؤكد أن الخراف سوف تسمع صوت الراعي وسوف تتبعه قد جاء في أعقاب شفاء المولود أعمى الذي لم يبصر يسوع؛ لأن البصر عاد إليه بعد أن اغتسل في بركة سلوام (يوحنا ٩: ٧). هذا الذي أبصر يسوع بعد ذلك هو بذاته الذي يسأل من هو ابن الله؟ (يوحنا ٩: ٣٥، ٣٦). وهنا يعلن يسوع عن نفسه: "رأيته وهو الذي يكلمك" (يوحنا ٩: ٣٧). وبعد ذلك يؤكد يوحنا أن الخراف ترى الراعي يدخل من الباب (يوحنا ١٠: ٢) وعندما تسمع صوته تعرف أنه الراعي (يوحنا ١٠: ٢-٤). **فالرؤيا جزء أساسي من سماع الصوت وتصديق الإعلان**. وهكذا يدور الحديث بين المجدلية والرب وهي لا تدرك أنه الرب؛ لأنه يكشف لها عن ذاته عندما يدعوها باسمها بعد ذلك.

٨- "يا امرأة لماذا تبكين؟": من الواضح أن الرب يعيد نفس سؤال الملاكين، وهو بذلك يؤكد أن خبر البشارة لا يُسمع من الملائكة فقط، وإنما من رب الملائكة. وقد سجل متى نفس الملاحظة (٢٨: ٩ - ١٠)، وإعادة السؤال جزء من الحوار الذي من خلاله يعلن الرب عن ذاته.

٩- "من تطلبين؟": وهنا السؤال محدد بوضوح، وهو ليس سؤالاً عن جسد يسوع، وإنما هو سؤال عن الإيمان، ومن جواب مريم ندرك أنها لا تزال تبحث عن

جسد ميت، وأنها لم ترتفع بعد إلى الرؤيا السليمة. من الضروري أن نتذكر أن السؤال الأول الذي يوجهه الملائكة عند القبر لا يختلف في جوهره عن السؤال الذي يوجهه المسيح بنفسه لمريم "لماذا تطلبين الحي بين الأموات؟" (لوقا ٢٤: ٥). فالمسيح الحي الذي أعلن قوة قيامته من قبل لا يمكن أن يكون مجرد جسد ميت.

١٠- "البستاني": عدد من المفسرين في العصر الحديث اعتبروا أن الكلام كله عن الفردوس القديم، وأن مريم رأت المسيح آدم الأول، وهو أول بستاني، و لم تعرف فيه مجد آدم الثاني الرب من السماء، أي أنها لا تزال أسيرة المعرفة الحسية الترابية الخاصة بالترابيين (١كورنثوس ١٥: ٤٧ - ٤٨).

١١- "يا مريم": بعد جواب مريم عن السؤال الأول تسأل عن الموضع الذي وضع فيه جسد المسيح، وكلمة "يا سيد" هنا "Kyrie" لا تعني الرب في مدلولها اللاهوتي، وإنما تعني سيد فقط في استعمالها المؤدب. وكما نرى بعد ذلك أن مريم لم تعترف به رباً، بل معلماً أو "ربوني" (يوحنا ٢٠: ١٢).

١٢- "ربوني الذي تفسيره يا معلم": وهنا تصل القصة إلى جوهرها أو النقطة الأساسية التي يريد أن يقدمها يوحنا الرسول، وهو كيف تدرج إيمان المجدلية من الرؤيا الحسية الأرضية إلى إدراك أنه حي، ولكنه لازال المعلم فقط. ومهما كانت الاستنتاجات التي يقدمها البعض حول الأصل العبراني – الآرامي لكلمة "ربوني"، فقد شرحها الإنجيل نفسه. لكن علينا أن نرى بكل وضوح أن المجدلية لم ترى القيامة بعد.

١٣- "لا تمسكيني": والنص اليوناني "me mou aptou"، ويعني حرفياً "*stop touching me*" وهنا يجب أن يكون واضحاً أنها فعلاً لمسته وأمسكته، ولذلك قال لها: "لا تمسكيني" والبعض يفضل "*cling*" أي لا تمسكه بقصد الإعاقة. وهكذا نفضل الترجمة العربية الجديدة للعهد الجديد "لا تمسكيني"؛ لأن الفعل اليوناني "aptou" يمكن أن يكون مرادفاً للفعل اليوناني الآخر "kratein" الذي استخدمه إنجيل

متى (٢٨: ٩) عندما أمسكت المريمات بقدمي يسوع. وربما بالمقارنة مع إنجيل متى (٢٨: ٩) نرى لماذا صدر هذا التصريح، فالنسوة اللاتي أمسكن بقدمي يسوع قدمن له العبادة، أما المجدلية فهي لا تزال على أعتاب الإيمان.

١٤- "أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم": سوف يشرح هذا الجزء آباء الكنيسة [١]. لكن نهاية القصة تقف عند هذا الجانب، أن المجدلية مكلفة بإعلان البشارة وبالكرازة للرسل، وهنا سوف تدرك أن كل ما تعرفه عن المسيح قد أخذ بُعداً آخر، فالمسيح هو رب الحياة الذي سوف يصعد إلى الآب، وهو ما يؤكد قيامته ومجده الإلهي.

(١) نُشرت هذه الدراسة على موقع coptology.com.

الفصل الثاني

المجدلية وخبرتنا الروحية في الليتورجية

أولاً
عند العلامة أوريجينوس

يلاحظ العلامة أوريجينوس أن إنجيل يوحنا يقدم لنا المسيح الإله الذي حلَّ في هيكل جسده، والذي لم يقبل مطلقاً أن يصبح هيكل سليمان مكاناً للتجارة. ولكن الهيكل الذي سوف ينقضه اليهود، أي "هيكل جسده" سوف يقوم في اليوم الثالث، وعندما يتم ذلك سوف يتذكر التلاميذ ما سبق وأخبر به الرب، وبالتالي سوف يكمل إيمانهم. ولكن المعلم العظيم لا يقف عند ذلك، وإنما ينتقل مباشرة إلى الواقع الحي الذي يخص حياة كل مسيحي:

> "وكل من يؤمن بالمسيح وله طبيعة بشرية، سوف يطهِّره يسوع كما طهَّر هيكل "سليمان"، وسوف يطرد كل ما هو ضد العقل، بل كل ما يباع ويشترى سوف يبيده بسبب غيرته؛ لأنه اللوغوس. والذين سوف يبيد يسوع طبيعتهم القديمة لن يقوموا في اليوم الثالث، بل سوف يقيمهم يسوع في "ثلاثة أيام" (يوحنا ٢: ١٩). فالقيامة صارت وسوف تصير بعد ذلك، وهذا هو المقصود بثلاثة أيام. قام يسوع أولاً في اليوم الأول من الأسبوع بعد أن نقض اليهود جسده أي هيكله. أمَّا بعد ذلك، أي في اليوم الثاني

والثالث، فسوف تكون قيامتنا، إذا كنا قد متنا ودفنا مع المسيح وقمنا معه. والكلمات الرسولية "قمنا معه" لا تعني قيامة الجسد، بل تعني أن الكل سيحيا في المسيح، ولكن "كل واحد حسب رتبته المسيح هو الباكورة والذين للمسيح في مجيئه وبعد ذلك النهاية" (١كورنثوس ١٥: ٢٢ – ٢٤). والذين يرغبون في القيامة يجب عليهم أن يكونوا في الكنيسة فردوس الله في اليوم الأول (الأحد)، وعندئذ يظهر المسيح ويقول: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي" (يوحنا ٢٠: ١٧)، أي **"لا تقتربوا مني إلا بعد أن ترتفع عقولكم إلى معاينة قيامتي وصعودي ومجدي الإلهي"**[١].

ويؤكد العلامة أن الذين يذهبون إلى الكنيسة في اليوم الأول من الأسبوع، أي يوم الأحد، هؤلاء بعد أن يسمعوا التعليم يلمسون المسيح في الإفخارستيا، وهؤلاء هم الذين يرتفعون إلى معاينة قوته وقيامته وصعوده وبعد ذلك يلمسونه.

إذن، النص لا يمثل مشكلة بالنسبة للعلامة أوريجينوس، وإنما يشرح قاعدة لحياة الإيمان التي تختبر المسيح في الليتورجية.

---

(١) الكتاب العاشر من تفسير يوحنا: ٢٣.

ثانياً

عند القديس كيرلس عمود الدين

مريم المجدلية رمزٌ للموعوظين:

يرى القديس كيرلس عمود الدين أن قصة المجدلية هي رمزٌ يشرح قاعدة قبول الموعوظين في الكنيسة.

"الدموع التي تُسكب لأجل يسوع لا تضيع فاعليتها ولا يمر وقت كثير قبل أن تعطي محبتنا له ثمراً، بل إن نعمته وغنى عطاياه تحيط بنا جداً عندما نسير في طريق الألم، لأنه بينما كانت مريم جالسة تبكي وتلطم خديها وتنوح على حبيبها الرب الذي فقدته، قرر المخلص أن يمنحها معرفة أحد أسراره بواسطة الملائكة القديسين. ولذلك رأت الملاكين بثياب بيضاء، وهذا يعلن جمال وكمال النقاء الملائكي. وهذان قاطعا نوحها وقالا لها: "يا امرأة لماذا تبكين؟" ولم يكن السؤال عن سبب بكائها وتساقط دموعها؛ لأنهما كان يعرفان حتى وإن لم تخبرهما المرأة، وحتى المناسبة نفسها كانت كافية لكشف سبب بكائها، بل كان السؤال طلباً إليها أن تكف عن البكاء؛ لأن هذا ليس أوان الدموع، ولأنها جعلت القيامة سبب الفرح مناسبة للحزن.

لماذا تبكين؟! وحقاً يسألان، فالموتُ قد قُهِرَ، والفسادُ فَقَدَ سلطانه وقوته، ومخلصنا المسيح قام، وخَلَقَ طريقاً جديداً يعود منه الموتى من الفساد إلى الحياة.

لماذا تبكين يا امرأة؟ ها أنت تخطئين في اختيار الوقت، ولماذا أنت مثقلة بسلاسل الخوف، بينما الأحداث نفسها تدعو إلى الفرح؟ بالحقيقة يجب أن تفرحين.

لماذا تبكين؟! أنت بهذه الدموع تفقدين جمال هذا العيد. وظهر الملاكان جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. وكأنهما بهذا يؤكدان للمرأة التي ظنت أن الرب قد أُخذ بعيداً، أنه لا يوجد أحدٌ قادرٌ على أن يأخذ الجسد المقدس؛ لأن الملائكة تحرسه والقوات المقدسة تحيط بهيكل[1] الله الكلمة وكل هؤلاء يعرفون ربهم.

وربما يسأل أحد هذا السؤال – وهو سؤال معقول – لماذا لم يتكلم الملاكان مع الرسل، ولم يعلنا عن نفسيهما، بل تحدثا مع المرأة؟

ونجيب على هذا: إن هدف المخلص المسيح أن يضع في عقول الذين يحبونه معرفةً كاملةً بأسراره، ولكن هذه المعرفة تُعطى بطرقٍ مختلفة حسب احتياج كل واحد. كانت مقارنة ما حدث بالكتب المقدسة كافية لإقناع الرسل القديسين وإعطائهم معرفة كافية وثقة بدون شك، وهذا هو سبب عودتهم إلى مترلهم بثقة. وكأنه بلا فائدة، أو شيء زائد أن يسمع الذين لهم إيمان قوي شيئاً ما من الملائكة. بينما كان ضرورياً بالنسبة للمرأة التي لا تعرف الكتب الإلهية أن تسمع البشارة من الملائكة؛ لأنها في هذه المرحلة بالذات كانت غير قادرة على أن تفهم سر القيامة العميق.

المرأة – بل جنس النساء – يُظهر أحياناً بطئاً في الفهم، ذلك أن مريم المجدلية لم تفهم المعنى الخفي لِما كانت تراه وتحدق فيه، بل أجابت عن سبب حزنها ولم تتوقف عن أن تدعو المسيح بالرب. هذا يدل على محبتها

---

(١) يستخدم القديس كيرلس – كما سنرى – في هذا الشرح، وفي سائر مؤلفاته الأخرى تعبير "هيكل جسد الله الكلمة" المأخوذ من (يوحنا ٢: ٢٠). راجع أيضاً شرح تجسد الابن الوحيد ص ٣٣. وهذا التعبير هام جداً لأنه يؤكد حلول الله الكلمة في الجسد كما كان يحل في الهيكل في العهد القديم.

له. ولذلك سمح لها (المسيح) أن ترى ما تطلب. لقد رأت يسوع، ولكنها لم تكن تظن أنه هو الذي كان واقفاً بجانبها. لماذا؟ إما لأن الرب أخفى – بقوته – نفسه عنها و لم يسمح لها أن تتعرف عليه بسهولة، أو لأن الصباح لم يكن قد أشرق وكان من الصعب عليها أن تتبين ملامحه وهو يقترب منها في وسط الظلام. ويشير الرب يسوع إلى سيره في الظلام في هذه الليلة في ضباب وندى الفجر بهذه الكلمات "رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل" (نشيد ٥: ٢).

لم يكن الليل كله قد مضى، كانت الظلمة لا تزال باقية، وكان يسوع لا يزال واقفاً بجانبها ولكنها لم تتعرف عليه؛ لأنها كانت غير قادرة على أن تميِّز شكله الجسدي وملامحه، لقد سمعته فقط وهو يسألها، يا امرأة لماذا تبكين؟ كانت كلمات المخلص رقيقة ويا ليت هذه الرقة بعثت فيها الشك بأنها ليست صادرة من البستاني. وعندما سألها الرب، لم يكن في الحقيقة يسألها عن سبب بكائها، ولا كان يسألها عمن تبحث، بل كان يريد أن يجعلها تكف عن النوح، تماماً كما فعل الملاكان.

لماذا تبكين يا امرأة؟ من تطلبين؟ أو امسحي دموعك لأن الذي تبكين عليه هو أمامك. أنا هو سبب نوحك. أنا هو الذي مات، وقد مُتُّ بهذه الطريقة البشعة، ولكنني لم أُحمل بعيداً عن القبر، بل أنا حيٌ وها أنا هنا، لذلك دعي عنك حزنك. وبدلاً من الحزن افرحي.

وهكذا، بهذا السؤال أراد أن يضع حداً لأحزانها. وكان لائقاً أن يردنا الرب إلى الفرح بهذه الطريقة؛ لأنه بمعصية آدم – وهو باكورة الجنس البشري الأول[1] سرى الحكم إلى العالم، "تراب أنت وإلى التراب تعود" (تكوين ٣: ١٩)، وقيل للمرأة بوجه خاص "بالحزن تلدين" (تكوين ٣: ١٦). ولذلك بالعقوبة زاد حزن النساء. وكان من الضروري أن ذات الفم الذي نطق بالحكم هو نفسه يرفع ثقل اللعنة القديمة. هنا كان المخلص

(١) الجنس البشري الأول رأسه آدم الأول. والجنس البشري الجديد رأسه آدم الثاني أي المسيح.

المسيح يسوع يمسح الدموع من عيون كل النساء اللاتي كانت مريم المجدلية باكورتهن. كانت حزينة جداً على موت المخلص وتنوح، ولذلك استحقت أن تسمع الصوت الذي قصر بكاءها. ولكن قوة كلمة البشارة تعم كل النساء إذا تألمن بسبب المسيح.

ورغم أن ربنا يسوع المسيح تحدث معها لكي يمنعها عن البكاء، إلاَّ أنها افترضت انه البستاني، وأظهرت استعداداً لأن تأخذ الجسد إذا دلها من ظنت أنه البستاني أين يوجد. لم تكن تفهم سر القيامة العظيم وكانت مضطربة بالشك.

"يا مريم". بهذا النداء دعاها لأن تتعرف عليه، لأن عقلها استنار وسمح لها بأن تحدق فيه بدون مانع أو عائق. أحبته بقوة، وهو هنا يكاد يوبخها على بطئها في التعرف عليه عندما ناداها باسمها. وعلى الفور فهمت وطرحت كل شكوكها وقدمت له الكرامة الاعتيادية عندما دعته "ربوني" أي يا سيد. وعندما امتلأ عقلها بفرح سماوي، أسرعت بكل اشتياق لكي تلمس جسده المقدس وتنال بركة منه".

شرح للإفخارستيا كخبرة حياة:

"فقال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي". لا يمكن للعامة أن يفهموا هذا النص بسهولة، ففيه يكمن سرٌّ خفي، ولكن علينا أن نبحث عنه لفائدتنا. وسوف يتفضل الرب علينا لنفهم كلماته. لقد منع الربُ المرأةَ من أن تقترب منه، كادت أن تجري نحوه وتحتضن قدميه، ولكنه أوقفها وذكر السبب "لأني لم أصعد بعد إلى أبي".

وعلينا أن نبحث عن معنى هذه الكلمات.

لماذا يمنعها من لمسه؟ وكيف يكون عدم صعوده سبباً كافياً يمنع الذين أحبوه من لمس جسده المقدس؟ ألا يستحق كل لوم منا مَن يظن أن الربَ رفض أن تلمسه المرأة حتى لا يتدنس بلمستها، ولذلك قال هذه

الكلمات لكي يحتفظ بنقاوته عندما يصعد إلى الآب[١]. إن من يعتقد هكذا يجب أن يوصف بالغباء والجنون، لأن طبيعة الله لا يمكن أن تتدنس.

وكما أن شعاع الشمس عندما يسقط على كومٍ من روث الحيوانات، أو أي شيء آخر مماثل من الأشياء الأرضية النجسة لا يتدنس شعاع الشمس، بل يظل كما هو بدون أن تلتصق به حتى الرائحة الكريهة للقاذورات التي يسقط عليها، فكم بالأكثر طبيعة الله الكلية القدسية التي لا تسمح بأي عيب أو دنس أن يؤثر فيها؟!

لكن لماذا مُنعت مريم من لمسه عندما اقتربت منه واشتاقت إلى لمسه؟ وماذا يعني الرب بقوله: "لأني لم أصعد بعد إلى أبي"؟

علينا أن نبحث عن معنى هذه العبارة على قدر طاقتنا. إننا نعرف أن مجيء المخلص إلينا كان لعدة أهداف، ولكن أهمها هو ذلك الهدف الفريد الذي عبَّر هو عنه بهذه الكلمات: "لم آتِ لكي أدعو الأبرار بل الخطاة للتوبة" (متى ٩: ١٣). لذلك، قَبل الصليب المحيي وقَبل قيامته من الأموات، أي عندما لم تكن خطة تدبيره قد تمَّت كل مراحلها، كان يخالط ويعاشر الأبرار والخطاة ويأكل مع العشارين، وسمح لأي إنسان أراد أن يلمسه بأن يأتي إليه؛ وذلك لكي يقدس كل البشر ويدعوهم إلى معرفة الحق وإلى الشفاء من المرض، لا سيما الذين تسلط عليهم الضعف من كثرة ممارسة الخطية. وعن هذا قال في موضع معين: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (لوقا ٥: ٣).

ولذلك قبل قيامته من بين الأموات عاشر بدون تفرقة أو تمييز، الأبرار والخطاة على حد سواء دون أن يطرد أحداً جاء إليه مثل المرأة التي جاءت إليه وهو متكئ في بيت فريسي وكانت زانية (لوقا ٧: ٣٧). هذه المرأة حلت ضفائر شعرها وهي علامة على عدم التحرر التام من الخطايا السابقة. ولكنها مسحت قدميه بشعرها، و لم يمنعها.

---

(١) شاع هذا التفسير في الأوساط الغنوسية فقط.

كذلك عندما كان سائراً في طريقه لكي يقيم ابنة رئيس المجمع، جاءت امرأة ولمست هُدب ثوبه وهي التي كانت فيها ينبوع الدم (لوقا ٨: ٣٤-٤٤). ولم يغضب بالمرة، بل منحها الثقة والعزاء "يا ابنة إيمانك شفاك" ثم قال: "اذهبي بسلام" (لوقا ٨: ٤٨).

في ذلك الزمان، كان البشر لا زالوا متدنسين عقلاً وجسداً، وهؤلاء – حسب تدبيره – كانوا لا يُمنعون بالمرة من لمس جسد مخلصنا المسيح لكي ينالوا منه كل بركة روحية. ولكنه بعد أن أكمل تدبير فدائنا واحتمل الموت على الصليب وقام حياً وأعلن أن طبيعته أسمى من الموت، لم يعد يمنح الإذن بلمس جسده، بل أخذ يمنع الذين يأتون إليه من لمس لحم جسده المقدس، وبذلك أسس من هذا المثال قاعدة للكنائس المقدسة والسر الخاص به[1].

وكما أن الناموس الذي أُعطي لموسى الحكيم منع في حالة ذبح الحمل أن يأكل منه أغلف وغير مختون (خروج ١٢: ٤٨)؛ لأن الأغلف غير طاهر، وهو مثال للطبيعة البشرية غير الطاهرة/ وما هي طبيعة الإنسان إذا قورنت بطهارة الله؟ لذلك إذا ظللنا غير طاهرين علينا ألاَّ نلمس جسده المقدس إلاَّ عندما نصبح أطهاراً بالختان الحقيقي للروح، أي ختان القلب بالروح (رومية ٢: ١٩)، ولا يمكن أن نختن روحياً إن لم يسكن فينا الروح القدس بالإيمان والمعمودية المقدسة.

وحقاً كان لائقاً أن تمنع مريم مؤقتاً من لمس جسده المقدس؛ لأنها لم تكن قد أخذت الروح القدس. لأنه على الرغم من أن المسيح قام إلاَّ أن الروح لم يكن قد أُعطي للإنسانية من عند الآب وبواسطة الابن. ولكن عندما صعد إلى الله الآب أرسل الروح القدس إلينا، كما قال هو بنفسه "خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن متى انطلقت أنا أرسله إليكم" (يوحنا ١٦: ٧). والروح لم يكن قد نزل إلينا لأنه

---

(١) أي الإفخارستيا كما سنرى.

(المسيح) لم يكن قد صعد إلى الآب، ولهذا السبب منع مريم من لمسه لأنها لم تكن قد أخذت الروح القدس، وقال لها: "لا تلمسيني .. الخ"، أي لم أرسل لك من فوق الروح القدس[١].

هذا المثال يخص الكنائس؛ لأننا نمنع من الاقتراب من المائدة المقدسة كل الذين آمنوا بلاهوت المسيح واعترفوا بالإيمان – أي صاروا موعوظين – لأنهم لم يغتنوا بالروح القدس، الذي لا يسكن في الذين لم يقبلوا المعمودية، ولكن عندما يصبحون شركاء الروح القدس، فلا يوجد ما يمنعهم من لمس مخلصنا المسيح. ولذلك كل الذين يرغبون في التناول من الإفخارستيا يقول لهم خادم الأسرار: "القدسات للقديسين"[٢] معلناً أن الاشتراك في القدسات هو مكافأة الذين تقدسوا بالروح القدس.

"ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم".

للأسباب التي ذكرناها، منع يسوع مريم من لمسه رغم أنها من كثرة محبتها لله اشتاقت لمثل هذه الهبة، ولكنه ها هو يضاعف من تعويضها على إيمانها الحار ومحبتها، معلناً أن الذين يثابرون على خدمته ينالون المجازاة.

ولكن الأهم والأكثر مجداً، أن مريم المجدلية أكملت خلاص المرأة من الضعف الذي أحاط بها منذ السقوط؛ لأن فيها – أي في مريم المجدلية – كللت النساء بمجد متضاعف. ورغم أن مريم كانت تبكي وجعلت من موت المسيح فرصة للبكاء والنوح، إلاَّ أنها عادت إلى الفرح عندما منعها الرب من البكاء، وهو الذي في القديم، وبالحكم جعل النساء يُغلبن من الأحزان؛ لأن الله قال للمرأة: "بالحزن تلدين الأولاد" (تكوين ٣: ١٦).

---

(١) ولكنه سمح لتوما أن يلمسه – حسب رأي القديس كيرلس – لأنه نال عطية الروح القدس حينما نفخ في وجه تلاميذه (رغم غيابه في تلك المناسبة).

(٢) يُعد هذا الشرح لعبارة القداس على هذا النحو من أهم ما ورد عند الآباء. ولعلنا نرى كيف أنه من خلال الاختبار الكنسي وبنصوص الكتاب المقدس يشرح القديس كيرلس هذا النص لأن مريم المجدلية تمثل الموعوظين.

ولكنه كما جعلها خاضعة للحزن في الفردوس عندما سمعت صوت الحية وخدمت حيل الشيطان، إلاَّ أنه الآن في البستان يطلب منها أن تكف عن البكاء، وعتقها من اللعنة التي ربطتها بالأحزان، وهو الآن يطلب منها أن تكون أول من يبشر بالخير المفرح العظيم أي الإنجيل، بل أن تبشر الرسل بصعوده إلى السماء.

وكما أن المرأة الأولى، أُم الجنس البشري قد دينت؛ لأنها سمعت صوت الشيطان ومن خلالها كل النساء. هكذا هذه المرأة – مريم المجدلية – ومن خلالها كل النساء سمعت كلمات مخلصنا وبشرت بالأخبار السارة المحملة بالحياة الأبدية، وهذا يخلِّص كل جنس النساء من اللوم القديم. وهنا منح الرب لمريم الخلاص من دموع الحزن وحررها من الميل للحزن وأعطاها القدمين الجميلتين اللتين قال عنهما النبي: "ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام. المبشرين بالخيرات" (أشعياء ٦٣: ٦)، و لم تكن قدما تلك المرأة في القديم – حواء – جميلتين لأنهما لم تبشرا بالسلام أو الخيرات عندما أغوت أبانا الأول – آدم – لكي يعصى الوصية المقدسة، ولكن النبي قال عنها وعن النساء اللائي بشرن الرسل القديسين بقيامة المخلص "أيتها النساء اللائي شاهدن تعالوا إلى الشعب الذي لا يفهم" (أشعياء ٢٧: ١١)، وتطلب هذه النبوة الإلهية من النساء محبات المسيح الحقيقيات أن يأتين بكل سرعة لكي يبشرن بما رأين ويحكمن على ثقل آذان وعدم فهم اليهود الذين ضحكوا واستهزأوا بكلمات مخلصنا المسيح عن القيامة.

وبدون شك كانت هناك نساء أخريات مع مريم المجدلية، أشارت لهن الأناجيل الأخرى، إلاَّ أن يوحنا الحكيم أشار إلى المجدلية بالذات، وليس في هذا أي تعارض مع الأناجيل الأخرى؛ لأن الأناجيل كتبها أناس قديسون. وأشار يوحنا إلى مريم المجدلية بالذات بسبب عظم محبتها للمسيح وهي المحبة التي جعلتها تلازم القبر بهذا الشكل العجيب.

لقد فاق حب المجدلية محبة النساء الأخريات، كانت أول من رأى القبر، ويبدو كذلك أنها طافت بالبستان وبحثت حول القبر عن الجسد؛ لأنها ظنت أن الرب أُخِذَ بعيداً. لأجل كل هذه الأمور اختار يوحنا أن يكتب عنها بالذات. وعادةً تُنسب نهاية كل الأعمال للقادة الذين يدبرون ويقودون، وهذا لا يمنع وجود آخرين يشاركونهم. وما أعظم الكرامة والمجد الأبدي الذين نالتهما مريم؛ لأن المخلص يطلب منها أن تقوم بواجب البشارة لإخوته حاملة لهم هذا الخبر السار".

الفصل الثالث

تفسير كلمات الإنجيل من خلال أحداث القيامة

القديس يوحنا ذهبي الفم:

"وفي أول الأسبوع (يوم الرب) جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر" (يوحنا ٢٠: ١). لقد قام الرب، بينما الحجر والأختام لا تزال باقية، ولكن لأنه كان من الضروري أن يبرهن على قيامته فتح القبر بعد القيامة، وبذلك تم إثبات القيامة، وهذا بلا شك أثار مريم المجدلية؛ لأنها كانت ممتلئة من المحبة لسيدها، فلما مضى السبت لم تكن قادرة على أن تحتمل الراحة، بل جاءت باكراً في الصباح تبحث عن تعزية بوجودها في مكان الدفن، ولكنها عندما وصلت إلى المكان ورأت أن الحجر قد دُحرج لم تدخل ولم تنتظر، بل جرت إلى التلاميذ، وبسبب اشتياقها الشديد لمعرفة ما حدث للجسد أسرعت لتفهم الخبر من التلاميذ.

هكذا نفهم جريها والكلمات التي قالتها "لقد أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه" (يوحنا ٢٠: ٢)، وهكذا علينا أن نرى أنها لم تكن تعلم بوضوح أي شيء عن القيامة، بل ظنت أن الجسد قد نقل بعيداً، وهكذا أخبرت التلاميذ.

وعندما جاءت وأخبرهم بهذه الأمور، أسرعوا إلى القبر فرأوا الكتان ملفوفاً، وهي علامة على القيامة؛ لأنه إذا كان أحد قد نقل الجسد من مكانه، فهل كان سيترع الأكفان عنه؟ ولو كانوا قد سرقوا الجسد،

فهل كانوا سيتجشمون عناء نزع المنديل ولفه ووضعه في مكان وحده. إنهم كانوا سيأخذون الجسد كما هو، ولعله لهذا السبب أخبرنا يوحنا بتفصيل شديد أن السيد قد كُفِّنَ وحُنِّطَ بحنوط كثيرة وضِعَتْ مع الكتان لكي تحفظ الأكفان وتضم الجسد بقوة أكثر من الرصاص ... فاللص لن يكون غبياً إلى حد أن يمضي وقتاً طويلاً في نزع الأكفان التي لصقت بشدة بالجسد، ثم لماذا يتزعها؟ ألا يعني هذا أنه سوف يمضي وقتاً طويلاً في القبر، ويعني أيضاً أن تعقُّبه سوف يكون سهلاً.

أمَّا لماذا وضِعَتْ الأكفان وحدها والمنديل الذي على وجهه ملفوفاً وحده؟ فلكي نعلم أن هذا العمل لم يتم بواسطة بشر في خوف وسرعة، بل لقد لُفَّتْ كل قطعة ووضِعَتْ في مكانها، وهذا دلالة على عملٍ مرتَّبٍ بعناية، وهو ما جعل الرسل يؤمنون بالقيامة، ولذلك ظهر المسيح لهم عندما بدأوا يقتنعون بما رأوا.

ونلاحظ أيضاً غياب الافتخار من يوحنا الإنجيلي، وكيف أنه يشهد لدقة بحث بطرس، فقد وصل أولاً قبل بطرس ورأى الأكفان موضوعة ولم يسأل ولم يفحص، بل وقف خارجاً، أمَّا بطرس المتحمس، فقد دخل إلى القبر ورأى كل شيء بدقة، وهو ما دعا يوحنا لأن يدخل بعد بطرس وأن يرى كيف وُضِعَ كل شيء في مكانه بدقة وعناية، وهو عمل يدل على التروي وليس على الاضطراب.

فإذا سمعنا هذا لا يجب أن نفترض أن الرب قام عارياً.

ليَكُفَّ هذا الاهتمام الجنوني الخاص بالأموات والدفن، فما أكثر ما ننفق على أمور لا تفيد وليس لها معنى، وهي تزيد اضطراب الحزانى ولا تفيد الراقدين ... وما قدَّمته المرأة عندما سكبت الطيب على قدميه أو عندما وضعت الحنوط حول جسده ليس دلالة على أننا يجب أن نفعل ذلك مع الراقدين، ولا يجب أن يدَّعي أحد القول بأنه طالما أن هذا قد تم مع المسيح، فيجب أن نفعله نحن أيضاً.

أولاً، لا يجب أن نقارن بين ما حدث مع المسيح وبيننا نحن؛ لأن الزانية التي سكبت الطيب على قدميه المقدستين هي مثل الباقين لم تكن تعلم شيئاً عن بشارة القيامة، ولذلك قيل "حسب عادة اليهود"؛ لأن الذين أكرموا المسيح بهذه الطريقة لا سيما في موته لم يكن أحد منهم من الإثنى عشر، أي لم يكونوا من الذين يؤمنون به ويكرمونه، فقد أكرمه الإثنى عشر بطريقة مختلفة عندما احتملوا القتل والموت والأخطار لأجله...

ولكي ندرك أن المسيح لا يهتم بهذه الأمور علينا أن نتذكر ما قاله: "جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريباً فآويتموني عرياناً فكسوتموني.." (متى ٢٥: ٣٥) ولم يقل مطلقاً ميتاً فدفنتموني، وأنا أقول هذا لا لكي نقضي على عادات الدفن، وإنما لكي أقضي على المبالغات والمجد الباطل ... وإن كنت تريد أن تعطف على الراقدين، فسوف أريك طريقاً أفضل لإظهار مشاعرك نحوهم، سوف أعلِّمك كيف تضع عليه الثياب التي سيقوم بها في المجد، وهي الثياب التي لا يأكلها الدود ولا تبلى بالزمن ولا يسرقها سارقوا القبور. ما هي هذه الثياب؟ هي ثياب الصدقة، فإن هذه الثياب هي التي سوف تقوم معه وعليها ختم محبته، وبهذه الثياب سوف يضيء الذين سمعوا "جعت فأطعمتموني .."[١].

وبعد ذلك يستطرد ذهبي الفم ليشرح موقف المجدلية مصوراً بوضوح شديد – وبفصاحة لغوية اشتهر بها – ما حدث عند القبر:

"إن جنس النساء مملوء بالمشاعر ولديه استعداد طبيعي للحزن، وأقول هذا لكي لا تتعجب كيف أن مريم المجدلية بكت بمرارة عند القبر، بينما لم يتأثر شخصٌ مثل بطرس، فقد سجَّل الإنجيلي يوحنا أن التلاميذ قد عادوا إلى منازلهم، أمَّا هي فقد وقفت تذرف الدمع لأنها من طبيعة ضعيفة ولم تكن تعلم بدقة حقيقة القيامة، ولم تصل إلى نفس الاستنتاج الذي وصل إليه الرسل عندما رأوا الأكفان موضوعةً، فذهبوا إلى منازلهم في دهشةٍ ولم

---

(١) العظة ٨٥ على يوحنا ٢٠: ١، ٢.

يذهبوا إلى الجليل كما أمرهم الرب قبل موته، أمَّا مريم التي وقفت عند القبر فقد انحنت (يوحنا ٢٠: ١١) لكي ترى المكان الذي وُضِعَ فيه الجسد، فنالت بذلك مكافأة على اهتمامها الفائق. وما رأته المرأة لم يره التلاميذ، فقد رأت الملاكين واحداً عند القدمين وواحداً عند الرأس بثياب بيضاء تشع نوراً وفرحاً، وكان هذا كافياً لكي يرفع عقل المرأة إلى الإيمان بالقيامة، فهنا برهانٌ أقوى من برهان الأكفان والمنديل، وكان يجب أن يرفع منظر الملاكين الجالسين بالثياب اللامعة عقلها من وطأة الآلام والأحزان إلى التعزية، ولم يخبرها الملاكان شيئاً عن القيامة، وإنما كان يقودانها برفق إلى الإيمان وبصوت مملوء بالرقة قالا: "يا امرأة لماذا تبكين؟" وهكذا قد فُتِحَ باب التعزية لها، وها هي تقاد شيئاً فشيئاً إلى معرفة القيامة. والطريقة التي جلس بها الملاكان جعلتها تسألهما، ولقد أظهر كلاهما أنهما يعرفان ما حدث، وهو ما جعلها تسألهما بدفء وبعاطفة الحنان "لقد أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه؟"

ماذا تقولين؟ ألا تعلمين شيئاً عن القيامة. ألا زلت تتخيلين الكثير عن المكان الذي وُضِعَ فيه؟ ألا نرى من ذلك أنها لم تقبل بعد الإيمان السامي بالقيامة؟ عندما قالت هذا التفتت إلى الخلف، ما الذي أدى إلى هذه الحركة؟ لقد تكلمت معهما ولم تسمع منهما رداً، فلماذا التفتت إلى الخلف؟ إنني اعتقد أنه بينما تتكلم معهما ظهر المسيح فجأة خلفها مما أصاب الملاكين برعدة، وعندما رأوا سيدهم، فلقد انحنيا له وعَبَّرا فوراً بحركتهما أنهما رأيا الرب، بل لقد ظهر هذا على وجهيهما، وهو ما لفت انتباه المرأة وجعلها تلتفت إلى الخلف، وهكذا ظهر الرب للملاكين، فعرفاه، أمَّا بالنسبة للمرأة، فلم يظهر لها بنفس الشكل حتى لا يرعبها، إنما ظهر لها بشكل عادي مما جعلها تفترض أنه البستاني، وهذا يتلائم مع طريقة الرب الذي يرفع العقل الضعيف لمعاينة الأمور العالية ليس مرةً واحدةً، بل تدريجياً وبرفق.

وهكذا يسألها الرب بدوره: "يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟" وبهذا أراها أنه يعرف من تريد ويقودها لكي تجيب. أمَّا المرأة وقد فهمت السؤال جيداً، لا تشير إلى اسم يسوع كما لو كان الذي يسألها يعرف الموضوع كله، فتجيب: "يا سيد إن كنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه". ومرةً ثانيةً تتكلم عن وضعه وأخذه وحمله كما لو كانت تتكلم عن جثة، وكأنها تعني بهذا ما يلي: "إن كنت قد حملته بعيداً بسبب الخوف من اليهود فأخبرني لكي آخذه أنا بدوري". عظيمةٌ شفقةُ هذه المرأة ومحبتها، ولكنها لا تعطي أكثر من ذلك، أمَّا هو فيعلن الأمر لها ليس بظهوره، وإنما بصوته.

لقد كان معروفاً لليهود، وكانوا يشعرون بوجوده حتى في غيبته، وعندما أرادوا القبض عليه، فقد اختار هو أن يعلن عن نفسه بقوله: "مَن تطلبون؟" فلم يعرفوه لا من حضوره ولا من صوته حتى شاء هو، وهذا هو ما نراه هنا أيضاً عندما ناداها باسمها معاتباً إياها على الاهتمام بهذه الخيالات عن شخص كان حياً، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ لقد سجَّل الإنجيلي أنها التفتت إليه وقالت: "ربوني"، فإذا كان يتكلم معها، فإنه يبدو لي أنها بعد أن قالت "أين وضعته"، التفتت إلى الملاكين لتسأل لماذا هم في دهشة ورعدة، فعندما دعاها المسيح باسمها عادت والتفتت إليه مرةً ثانيةً، فأظهر لها ذاته بصوته. وعندما قال لها "يا مريم" عرفت أنه هو، من صوته وليس من منظره، وإذا افترض أحدٌ أن الملاكين ارتعدا ولهذا التفتت المرأة بدورها وانحنت ساجدة لكي تمسك بقدميه، فإن هذا يبدو أنه قد حدث؛ لأنه يقول لها الآن بوضوح: "لا تلمسيني"، فما معنى هذه العبارة؟

إن البعض يفترض أنها طلبت عطيةً روحيةً؛ لأنها سمعته من قبل يقول لتلاميذه: "ومتى ذهبت إلى الآب، فأنا أسأله وهو سيعطيكم معزياً آخر" (يوحنا ١٤: ٣، ١٦). ولكن كيف يصح هذا التفسير وهي لم تكن مع التلاميذ ولم تسمعه يقول هذا؟ إن هذا خيالٌ بعيد عن المعنى تماماً.

وكيف تسأل عطيةً روحيةً وهو لم يذهب بعد للآب؟! فما معنى هذه الكلمات؟ إنني أعتقد أنها أرادت أن تتكلم معه كما كانت تفعل من قبل، وأنها في فرحها لم ترَ شيئاً مجيداً فيه رغم أنه صار الآن ممجداً أكثر مما كان عليه سابقاً أي عندما تجسد، ولكي يبعدها عن هذا التفكير ولكي تتكلم معه باحترام أكثر لأنه منذ الآن وحتى مع التلاميذ لن يكون كما كان سابقاً، فها هو يرفع أفكارها إلى فوق لكي تعطي له احتراماً أكثر من ذي قبل، وقد كان يستطيع أن يقول لها: "لا تقتربي مني كما كنت تفعلين من قبل، فالأمور قد تغيَّرت و لم تعد كما كانت، ومنذ الآن لن أكون معكم كما كنت سابقاً"، ولكن هذا ينطوي على شيء من الخشونة وعدم الرقة.

أمَّا قوله: "لم أصعد بعد إلى أبي" فهو أقل ألماً رغم أنه يعطي نفس المعنى، ولقد أعلن بذلك القول وبوضوح شديد أنه لم يعد يليق أن يكون الكلام مع من سيصعد إلى الآب ولن يتكلم مع الناس كما كان يفعل سابقاً، بل لا يجب معاينته بنفس المشاعر المألوفة قبل القيامة. وما حدث بعد ذلك يؤكد هذا المعنى لأنه يقول لها: "أذهبي إلى إخوتي وقولي لهم ..."[1].

([1]) العظة ٨٦ على يوحنا ٢٠: ١٠: ١٨.

الفصل الرابع

المجدلية رمز لكنيسة الأمم

المغبوط أوغسطينوس:

يفتتح المغبوط أوغسطينوس شرحه ليوحنا ٢٠: ١٠ – ٢٩ (فصل ١٢١) بذهاب مريم المجدلية إلى القبر وبقائها منفردة بعد ذهاب الرسولين بطرس ويوحنا إلى مترلهما، ثم يستعرض الأحداث الغريبة التي تمر عند القبر:

"كيف نفهم أنه بينما تبكي انحنت ونظرت ثانيةً إلى القبر؟ هل فعلت هذا لأنها في حزنها الشديد لم تكن تصدق ما رآه التلميذان أو ما تراه هي؟ أم أن إلهاماً إلهياً قاد فكرها لأن تنحني وتنظر من جديد؟ وعندما نظرت وجدت "ملاكين بثياب بيضاء جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند القدمين" ... وبهذا يعبِّر جلوس الملاكين عن أن الإنجيل سوف ينتشر من الرأس إلى القدمين، أي من البدء حتى النهاية.

وقال لها الملاكان: "يا امرأة لماذا تبكين؟ فقالت لهما: لأنهم قد أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه". لقد منعها الملاكان من البكاء، ولكن هذا يعني أن هناك فرحٌ آتٍ، وإلاَّ كيف نفهم معنى طلب الكف عن البكاء؟ ولكنها لم تفهم السؤال، وظنت أنهما يتكلمان عن جهلٍ بالأمور، وأنها مضطرة لأن تشرح لهما سبب بكائها بقولها: "لأنهم أخذوا سيدي"، وهكذا دعت الجسد الميت سيدي ... لقد أضافت "ولست أعلم أين وضعوه". وهذا كان سبب حزنها الشديد؛ لأنها كانت لا تعلم أين الجسد،

وهو ما جعلها تنحصر في الأحزان ... وبعد ذلك التفتت إلى الخلف ونظرت يسوع واقفاً ... (حتى آخر نص إنجيل يوحنا ٢٠: ١٢ – ١٨) ... ما معنى هذه الكلمات التي يجب أن نفحصها بجرأة؟ لقد شاء يسوع أن يعطي للمرأة درساً في الإيمان، بعد أن تعرَّفت عليه كسيدها، وكان الرب هو البستاني الذي يزرع في قلبها وفي الفردوس "حبة الخردل".

ولكن ما معنى "لا تلمسيني"؟ والسبب قد شرحه هو بما أضاف من كلمات: "لأني لم أصعد بعد إلى أبي"، فما معنى هذا؟ إذا كان لا يمكن للناس أن يلمسوه وهو واقف على الأرض، فكيف يمكن للناس أن يلمسوه وهو جالس عن يمين الآب في المجد؟ لقد كان التلاميذ يلمسونه بكل يقين وهو بنفسه قال: "المسوني وانظروا، فالروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لوقا ٢٤: ٣٩). أو عندما قال لتلميذه توما: "ضع أصبعك وانظر يدي ..." (يوحنا ٢٠: ٢٧)، فمن ذا الذي يخونه المنطق ليؤكد أن الرب أراد أن يلمسه التلاميذ قبل صعوده، بينما رفض أن يسمح للمرأة أن تلمسه إلاَّ بعد صعوده؟ ... لا يمكن لأحد أن يفترض هذا الافتراض الخاطئ؛ لأننا نقرأ أن النسوة بالذات بعد قيامته وقبل صعوده قد لمسن جسده، وبالذات مريم المجدلية نفسها، كما ذكر إنجيل متى أن يسوع التقى بها (مع مريم الأخرى) وقال لهما: "سلام فأمسكتا بقدميه وسجدتا له" (متى ٢٨: ٩)، فإن كان يوحنا لم يسجل هذا، فلأن متى قد سجله قبله. ومن هذا يبدو أن سراً مقدساً مخفياً في هذه الكلمات. وسواء نجحنا أم فشلنا في اكتشاف هذا السر، فإننا لا يجب أن نشك أنه يوجد سر كامن في تلك الكلمات: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي". ومعنى هذه الكلمات ظاهر في أن مريم ترمز إلى كنيسة الأمم التي لم تؤمن بالمسيح، إلاَّ بعد صعوده وجلوسه عن يمين الآب، وهكذا شاء المسيح أن تؤمن به هذه الكنيسة وأن تلمسه روحياً وتؤمن أنه هو والآب واحد. فهو قد صعد إلى الآب بمعنى أنه صار غير ظاهرٍ، وبذلك صار ظهوره الداخلي في معرفة

الإنسان به كواحد مع الآب في الجوهر، ومن لا يعرفه على هذا النحو الدقيق لا يمكن أن يلمسه، أي لم يؤمن به إيماناً صحيحاً.

أمَّا مريم، فربما كانت تعتقد بأنه ليس مساوياً للآب، وهو ما دعا المسيح لأن يمنعها من أن تلمسه بقوله: "لا تلمسيني" أي "لا تؤمني بما تكوَّن في عقلك من أفكار وخيالات، بل ليتجدد إيمانك وينطلق إلى ما هو أعلى". وكيف يمكن أن نفترض أن إيمانها بالمسيح كان صحيحاً وهي كانت لا تزال تقف عند القبر تبكي كما لو كان المسيح مجرد إنسان ميت؟ ولَّما قال لها: "لأني لم اصعد بعد إلى أبي"، فقد كان يعني "**إنك سوف تلمسيني عندما تؤمنين بأني الإله وأني لست أقل من الآب بالمرة**".

المجدلية ونازفة الدم التي لمست هُدبَ ثوبه:

في المقالة ٢٦ على إنجيل (٤: ٥١ – ٥٩)، لا ينسى أوغسطينوس أن يقارن بين نازفة الدم التي لمست هدب ثوبه ومريم المجدلية. تجيء هذه المقارنة في معرض الكلام عن الإيمان. يقول أوغسطينوس:

"إننا لا نسعى إلى المسيح على أقدامنا، وإنما نسعى إليه بالإيمان، ولا ندركه عندما تتحرك أجسادنا، وإنما بميول قلوبنا إليه نقترب فعلاً. ولهذا السبب عندما لمست المرأة هُدبَ ثوبه، لمسته أكثر من كل الذين حوله من الجموع التي كانت تزحمه. ولنفس السبب سأل الرب: "مَن لمسني؟" وعندما تعجب التلاميذ وقالوا له: "الجموع كلهم يزحمونك ويضايقونك وتقول من لمسني؟"، فأكد السؤال قائلاً: "شخص لمسني". هذه المرأة لَمسَتْ، أما الجموع فكانت تزاحم، فما هي اللمسة سوى الإيمان؟ (لوقا ٨: ٤٥ – ٤٨). ألا يساعدنا هذا على أن نفهم موقف هذه المرأة التي أرادت أن ترتمي على قدميه بعد قيامته وتلمسه، فقال لها: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي" (يوحنا ٢٠: ١٧)، "أنت تتخيلين أنني لست أكثر مما تشاهدين بعينيك، ولذلك "لا تلمسيني" ما معنى هذا؟ "إنك تفترضين إنني

لست أكثر مما أبدو لك، ولذلك لا تؤمنين، أي "لا تلمسيني لأني لم أصعد إلى الآب"، بالنسبة إليك أنا لم أصعد أي أني لم أنطلق". فإذا لم تلمسه عندما كان على الأرض فكيف تستطيع أن تلمسه عندما يصعد إلى الآب؟ وهكذا أراد هو أن تلمسه، وهو يُلمس بواسطة الذين ينتفعون بلمسه عندما يصعد إلى الآب حيث هو والآب واحد".

الفصل الخامس

المجدلية نموذج للنفس التي ترتفع من حِسِّ الوثنية إلى الإيمان بالمسيح

قصيدة شعرية للقديس يعقوب السروجي:

"امسك يدي والمسني لكي أنهض وألمسك.
أنا يا سيد مثل المجدلية عاجزٌ عن أن ألمسك.
أنا عاجزٌ لأن ذنوبي تحجب رؤية مجدك الإلهي.
خطاياي يا سيدي تفصل بيني وبينك، فأسعى إليك.
بحواس جسدي أريد أن اقترب منك؛ لأنني لم أتنقَ.
أنت قادرٌ أن تلمسني يا سيدي؛ لأن عجزي لا يمنع محبتك.
أنت أيها القادر لمستَ النعشَ، فقام الميت الذي لا يعرفك.
كانت دموع أمه كافية لأن تحرك جمر نار محبتك الأزلية.
فقام من سُبات الموت بعد أن سَرَت فيه قوة الحياة.
من يدك الطاهرة الإلهي خرج نور الخلاص فأقمني.
أمسكني أنت يا من أمسكت بطين الأرض قديماً وخلصتني.
ونفخت روح الحياة فيَّ لأتنعَّم بالشركة معك.
لكنني صرتُ أعبد تلك التي ليست آلهة وغرقت في حمأة الوثنية.
صار الملموس عندي يقين،
وصار اليقين عندي غير معروف ولا ملموس بالفعل.

صارت أهواء جسدي تحثني على أن أطلبك بحواس جسدي.
أمَّا حواس روحي فقد اظلمَّت وغَرِقَتْ في ظلام الجهل.
امسك أنت بيدي يا سيدي وأقمني ورُدَّ لي روح الأنبياء لكي أعرفك.
أعطني روح البطاركة لكي أشترك معهم في قوة اليقين.
واسكب روح الرسل في كياني الميت لكي أعاينك حياً من الأموات.
وهَبْ لي أن ألمسك مرتفعاً من ظلام الجهل إلى نور الحياة بالقيامة.
وهَبْ لي أن أسجد مع النسوة، أنا الذي قبلت غواية الحية.
وأن أمد يدي إلى هدب ثوبك، فيشفى فساد طبيعتي.
أمسك بقدميك ولا أتركك حتى تباركني وأقول إنني رأيتك.
ألمسني أنت بهبة الإيمان لأعاين بهذه اللمسة محبتك.
لقد سعيتُ مثل المجدلية وأفنيت قوتي في سعي زائف.
فتشت عن الحق في أقوال الحكماء والحياة عند العقلاء،
فوجدتهم كلهم في القبر.
وبكيتُ مثل المجدلية: أين عظماء الدهور وعقول الحكماء؟!.
ولم أدْرِ أنك لا تظهر عظيماً مثلهم، بل يمكن أن تكون بستانياً.
ففي البستان زَرَعَتَ شجرةً أكل منها أبي، فطرد.
وفي البستان كانت الحياة أمام يديه، فأحجم عن الأكل منها ومات.
وفي البستان آتي إليك مثل المجدلية لكي أراك وأحيا.
ومثلها أشفيني من دموع الندم على الماضي التعيس.
أنا غارق في بكاء الدهور، وجريحٌ جُرحَ موتٍ لا شفاء منه.
فالمسني أيها المجروح بمحبتك؛ لكي أشفى بجُرحِ صليبك.
استرني ببر قيامتك يا من سَتَرْتَ كل الخطاة برداء الحياة.
وامسكني أنت بعد أن عجزتُ عن أن أمسك يدك.
أنا مثل المجدلية ضالٌ بلا رفيق.
تركني رسل البشارة مطروحاً في قفر المعرفة.

ولما رأيتُ أنه ليس لي إنساناً قلتَ لي: ها أنا.
ودعوتني أنا الخاطئ حتى أعود إليك.
فامسك يدي والمسني لكي ألمسك"[١].

(١) قصيدة عن القيامة بعنوان "امسك يدي والمسني".

الفصل السادس

بالروح القدس نلمسه روحياً

المغبوط أوغسطينوس:

يدرس أوغسطينوس كيف طلب المسيح من التلاميذ أن يؤمنوا بأنه خيرٌ لهم أن ينطلق إلى الآب لكي يأتي الروح القدس المعزي (يوحنا ١٦: ٧).

"لن يكون الإيمان مفيداً ومستحقاً لمكافأة عظمى ومجد وبركة، إذا ظل الرب القائم من بين الأموات يظهر لعيون البشر. ولكن الروح القدس هو الذي أعطى عطية الإيمان لمن يريد أن يؤمن لكي يراه الذين لم يشاهدوه بالعينين بعدما يتطهروا من الشهوات الجسدية ويمتلئوا بالأشواق الروحية، فيتنهدون في أنَّاتٍ طالبين رؤياه. وحتى التلميذ الذي رفض أن يؤمن حتى يلمس جسد الرب بيديه ويلمس جراحه، ما أن لمسه حتى صرخ "ربي والهي"، "فقال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما آمنت ... طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يوحنا ٢٠: ٢٩). هذه الطوبى هي التي أعطاها لنا الروح المعزي، لأننا بعد أن رأيناه في شكل عبد، وهو الناسوت الذي أخذه من أحشاء العذراء، لم نعد نراه الآن بعيني الجسد، وإنما تراه عيني العقل الذي تطهَّر، وتتأمله وهو في صورة الله التي هي مساواته للآب رغم تجسده. وإذا امتلأنا بالروح القدس نقول نفس الكلام مع الرسول: "إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، فإننا لا نعرفه بعد حسب الجسد" (٢كورنثوس ٥: ١٦). وحتى الرسول لم يعرف جسد المسيح حسب حواس الجسد، وإنما عرف جسد المسيح بالروح القدس الذي لا نلمسه

بفضولٍ، وإنما نلمسه بالإيمان وننال يقين ومعرفة قوة قيامته ... ولذلك لا يمكن أن ننال هذه الطوبى التي تجعلنا نؤمن دون أن نرى إلاَّ بالروح القدس، ولذلك قيل لسببٍ حَسِن "خيرٌ لكم أن أنطلق، إن لم أنطلق لا يأتي المعزي ولكني إن انطلقت أرسله إليكم" (يوحنا ١٦: ٧). إنه بلاهوته معنا على الدوام، ولكن بعد أن تجسد يجب أن يفارق أبصارنا، لأننا إن رأيناه في الجسد، فإننا لا نقدر أن نؤمن بما وهبه لنا روحياً ... ولذلك قال للمرأة التي تمثل الكنيسة عندما ارتمت على قدميه بعد قيامته: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي"، وهذا التعبير نفهمه بشكل سري على هذا النحو "لا تؤمني بي حسب الشكل الجسدي المنظور وبواسطة حواس الجسد، وإنما آمني بما هو روحيٌ وبطريقة روحانية، أي الإيمان الحي الذي يجعلك تلمسيني عندما أصعد إلى أبي"؛ لأنه "طوبى للذين آمنوا و لم يروا"[1].

+ + +

(1) عظة ٩٣ على الأناجيل.